مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 01، مارس 2023، صص: 81- 98

تاريخ الاستلام(2022/07/01)تاريخ القبول (2023/02/18)تاريخ النشر (2023/03/30)

صورة الأمير عبد القادر في كتابات الرحالة الفرنسيين والألمـــــان، قراءة في نماذج

The Image of El-Amir(The Prince) Abd Elkader in the Writings of the French and the German travelers

شفيق بوطرفة

جامعة عباس لغرور، خنشلة(الجزائر)، chafik .boutarfa@univ-khenchela.dz

ملخص:

يعد الأمير "عبد القادر" من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر الحديث ويعود له الفضل في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة. ولما كان لشخصية الأمير وزن ثقيل في الساحة السياسية والعسكرية وحتى الدينية والأدبية، فقد سعى العديد من الرحالة والقادة العسكريين الأوروبيين إلى التقرب من الأمير في محاولة للتعرف على شخصيته أو تقصي أخباره وأخبار مقاومته، وبالتالي فقد أسهموا عبر مؤلفاتهم في وصف شخصية الأمير ومقاومته في متون كثيرة من كتاباتهم مما يجعلها من المراجع التاريخية المهمة. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مرجعيات تشكيل صورة الأمير عبد القادر في كتابات الرحالة الفرنسيين والألمان.

كلمات مفتاحية: الصوراتية، الأمير عبد القادر، كتابات الرحالة الفرنسيين والألمان، قراءة في نماذج.

Summary:

El-Amir (The Prince) Abd Elkader is considered as one of the outstanding figures in the modern history of Algeria, and that's owing to his foundation of the Modern Algerian State. Since the character of El-Amir had had a great role on the political, military, religious and literary levels, many European travelers and militant leaders aimed at getting close to The Prince in order to know more about his character and to follow his news besides to report events about his resistance. Therefore, they had

المؤلف المرسل: شفيق بوطرفة، الإيميل: chafik.boutarfa@univ-khenchela.dz

contributed through their works in describing the personality of El-Amir and his resistance in several frameworks from their writings, which makes them among the most important historical references. Hence, this study aims at revealing the feedback of constructing the image of The Prince Abd Elkader in the writings of the French and the German travelers.
Keywords: Imagology; El-Amir Abd Elkader; The writings of the French and German travelers; Models' reading.

1. مقدمة:

أسهمت كتابات الرحالة في تمثيل جوانب مهمة من حياة الإنسان في مختلف نواحيها الاجتماعية والتاريخية والسياسية والثقافية... وهذا ما يجعل نصوص الرحلة (مؤلفات، مذكرات، يوميات، تقارير عسكرية أو استخباراتية...) من المصادر المساعدة للتاريخ، فهي بمثابة الشريط السينمائي الذي يصور منظرا أو يلتقط حدثا. لذلك، فإننا «نرى في هذه الأعمال وما قدمت من مادة ثرية، دليلا بارزا على قيمة رحلاتهم في تزويدهم مباشرة بالمعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة، والمعاينة الشخصية عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي زاروها وأقاموا فيها، وعن طبائع أهلها ومعالم حضارتهم، وهذا يشكل جوهر العمل الاثنوغرافي.»[1] تأسيسا على ما سبق يمكن القول إن أدب الرحلة من أكثر الأنواع الأدبية قدرة على نقل صورة الآخر واستيعاب تفاصيله؛ ذلك أن احتكاك الرحالة (الأنا) المباشر بالآخر والتعرف عليه عن قرب سمح لهم بتسجيل « انطباعاتهم كل حسب مشربه وتكوينه، فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني، ومنهم من اهتم بالعلم ورجاله، ومنهم من تحدث عن المدن ووصف "المسالك والممالك". ولكن أعمالهم جميعا لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع.»[2] وهذا ما يجعل نص الرحلة من الأجناس الأدبية التي أسهمت بشكل واضح في تصوير الآخر والخوض في تفاصيله؛ لذلك يمكن عَدُّ أدب الرحلة من أبرز وسائط تلقي صورة الآخر، بل يمكن عده التربة الخصبة لعلم الصورولوجيا.

مهّد أدب الرحلة –باعتباره أحد أهم الأجناس الأدبية- لولادة الصورولوجيا، فالرحلات أهم منبع لاستلهام الصورة، إذ لا تخلو رحلة من تصور حول ماهية الآخر*، فللمهاجرين والرحالة من الكتاب «فضل كبير في تكوين هذه الأفكار. فهم الذين ينقلون إلى أممهم، ويصفون في أدبهم صور ما شاهدوا في البلاد الأخرى.»[3] فانتقال الرحالة إلى بلدان خارج أوطانهم مكنهم من بيان موقفهم من البلاد التي رأوها، ومن هنا أصبحت الحاجة ملحة إلى تحري صورة الآخر في نصوصهم، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتحاول الإجابة عن بعض التساؤلات والتصورات المتعلقة بصورة الآخر في أدب الرحلة الأوروبي .

ولما كانت الجزائر من دول الشرق المهمة، فقد حظيت باهتمام الغرب، حيث زارها ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين المئات من الرحالة الأوروبيين–على اختلاف جنسياتهم وتخصصاتهم- الذين وثقوا سيطرة الجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط، مثلما وثقوا احتلال الجزائر وما تبعه من مقاومات شعبية وصولا إلى الثورة التحريرية. وتكمن القيمة التاريخية لأدب الرحلة الأوروبي في عناية الرحالة الأوربيين بجوانب مهمة من مقاومة الجزائريين للمستعمر الفرنسي، فقد اهتم الكثيرون بتقصي أخبار المقاومة الجزائرية للفرنسيين، فوصفوا قادة الثورات الشعبية، ووثقوا جزءًا مهما من نضالهم ضد المستعمر الفرنسي، ولما كان الأمير "عبد القادر" من الشخصيات التاريخية البارزة، فقد عُني باهتمام الكثير من الرحالة والقادة العسكريين الأوروبيين الذين كتبوا عنه الكثير من المؤلفات والنصوص التي تهدف في مجملها إلى تعريف أوروبا بشخصية الأمير وبيان دوره الكبير في الساحة السياسية، فضلا عن توثيقهم لمقاومته الشرسة للمستعمر الفرنسي. وتجدر الإشارة إلى بعض كتابات الرحالة الأوروبيين الذين لم تكن كشوفهم الجغرافية «سوى فتوح استعمارية، وأن أعمالهم كانت بعيدة كل البعد عن روح الكشف والعلم، بل كانت نواة الاستعمار الاقتصادي والسياسي والفكري.»[4] لذلك تسعى هذه الدراسة إلى تعقب صورة الأمير "عبد القادر" في كتابات الرحالة والقادة العسكريين الفرنسيين والألمان في محاولة للوقوف على الخلفيات الثقافية والأيديولوجية التي أسهمت في إنتاج جملة من الصور المتباينة والمتأرجحة بين الموضوعية والذاتية.

2. صورة الأمير الشجاع

يورد الأمير الألماني "**بوكلر موسكاو**"*(P.Muskau) صورة من الصور التي توحي بشجاعة وإقدام الأمير "**عبد القادر**". وذلك من خلال ما نقله من المراسلات التي جرت بين الأمير والجنرالات الفرنسيين قائلا: «من جملة الرسائل الرسالة التي أرسلها الأمير عبد القادر إلى حاكم وهران، وأنكر عليه فيها تهديده إياه بإعلان الحرب عليه إن هو لم يعمل على تطبيق شروط المعاهدة. وفيها يخبر الأمير الجنرال المغرور أن البدوي لا صنعة له غير الحرب وأنه في انتظار مرتزقته في أي وقت كان... وخيوله نفسها تحمحم تشوقا للحرب والنزال !»[5] يظهر الأمير في صورة القائد الشهم المتعطش لقتال العدو الفرنسي، فعلى الرغم من الإمكانات الحربية المتواضعة لجيش الأمير مقارنة مع ما تمتلكه الجيوش الفرنسية، إلا أن الجزائري متمثلا في شخص الأمير "**عبد القادر**" بين لعدوه أنه لا يهاب الموت أبدا وأنه لا يرضخ لتهديدات وإملاءات

الحكام والجنرالات الفرنسيين. وبالفعل فقد انهزم الجنرال الفرنسي "تريزيل" في معركة المقطع على يد جيش الأمير "**عبد القادر**" سنة 1836.[6]

ويؤكد الرحالة والأديب الألماني "هاينريش فون مالتسان"* (H.V.Maltzan) ما أورده ابن بلده "بوكلر موسكاو" بحديثه عن الخسائر الكبيرة التي كبدها الأمير "عبد القادر" لفرنسا في معركة وادي المقطع التي خرج فيها الأمير ليرد على اجتياح الجنرال "تريزيل" (Trézel) حاكم ولاية وهران لأراضٍ تابعة لدولة الأمير قائلا: «لقد شهدت هذه المنطقة الحزينة، التي تغمرها المياه، عام 1835 أهم انتصار على الفرنسيين أحرزه الأمير عبد القادر. على الجنرال"تريزيل" الذي خرق فيما يقوله العرب بنود المعاهدة القائمة، وقام بحملة لنهب قبائل وادي سيق،... حيث هاجمه الأمير في 26 جوان 1835 في مستنقعات المقطع... وقد ادعى الفرنسيون نفاقا أن خسائرهم في هذه المعركة كانت ضئيلة، غير أنني تأكدت عن طريق مصادر موثوقة بها، أنها بلغت عدة آلاف.»[7] إن ما أورده الرحالة الألماني يؤكد أن إنجازات الأمير "عبد القادر" ليست محالفة حظ مثلما يدعي الجاسوس الفرنسي "أدريان بير بروجير" وغيره من الرحالة المتحيزين للسياسة الاستعمارية، فقد دفعت الهزيمة النكراء بفرنسا للاعتراف بالأمير كقائد وبدولته في الجزائر وهو في سن السادسة والعشرين من عمره مما يؤكد على نضجه السياسي والعسكري.

ويصور "مالتسان الأمير "عبد القادر" في صورة القائد القوي الذي تمكن من بسط سيطرته ونفوذه على مناطق واسعة من الجزائر وبالتالي نجح في فرض وجوده على المستويين السياسي والعسكري، فقد «كانت سنة 1835 على الإطلاق تمثل أوج قوة الأمير عبد القادر، فلم يبلغ نفوذه إلى هذه الدرجة لا قبلها ولا بعدها. فقد دخلت في طاعته آنذاك ولاية وهران، باستثناء ثلاث مدن ساحلية، وأقسام كبيرة من ولاية الجزائر. وكان قد أفتك مدينتي مليانة والمدية من يد درقاوة، وهي طائفة دينية، وهزم رئيسهم الحاج موسى. واستطاع أن يرسل خليفته حتى بلاد القبائل التي كان من الصعب دخولها في ذلك الحين، ولو أن قوة خليفته كانت اسمية فقط. فنرى أن قوة الأمير ابتداء من هذه السنة 1839 في أوجها لا تكاد تتغير، ثم ينالها الضعف بصورة مستمرة.»[8] إن ما أورده الرحالة صورة إيجابية مثبتة في كتب التاريخ، فهي تبرهن على شجاعة الأمير وعيه السياسي وكذا تنظيم جيشه تكتيكيا، فمقاومة الأمير الشرسة لفرنسا مهدت لانطلاق مقاومات كثيرة مؤكدة على تعلق الجزائري بأرضه وتبين رفضه لكل أشكال الاستعمار.

يشير الجاسوس الفرنسي "**أدريان بير بروجير**"* (A.Berbrugger) إلى شدة إيمان الأمير بقضيته وهو يرد على إحدى رسائل التهديد التي وصلته -وهو في مرحلة ضعف- هذه الرسالة

التي لم يذكر الضابط صاحبها، حيث يجيبه الأمير قائلا: «عندما تكون جالسا على الشاطئ وأنت تنظر إلى السمك السابح بحرية في البحر، فإنه يخيل إليك أن الأمر لا يحتاج إلا إلى مد اليد لصيده، ومع ذلك فإنه يجب توفير كل المهارة وشباك الصيد إذا كان المرء يرغب في أن يكون سيد الموقف، والأمر كذلك بالنسبة للعرب.»[9] فعلى الرغم من الوضع السيئ الذي يمر به جيش الأمير إلا أنه لم يقدم أية تنازلات لخصومه، فرده على صاحب الرسالة يظهر الأمير في منتهى القوة والشجاعة، مما يعني أن إيمانه بقضيته قد فاق كل التصورات وهذا ما حتم على العدو احترامه قبل الصديق.

كما يعترف "**بير بروجير**" بعظمة طموح الأمير على الرغم من الاتهامات المغرضة التي يلفقها "**ليوغرطة**" الصغير، فعلى حد وصفه يقول: «ولكن طموحه، وهو أعظم من كل شيء يدفعه إلى الأمام، ولذلك فهو لا يتوقف إلا إذا رأى آخر فرنسي قد ركب آخر سفينة وارتحل أوإذا قامت فرنسا بقصم ظهره هو.»[10] إن مضي الأمير في تحقيق طموحه يؤكد على شجاعة الأمير "**عبد القادر**" ويثبت للعالم أجمع أن الجزائري ممثلا في الأمير صاحب قضية وبالتالي فإن الاستمرار في فعل المقاومة حتى إجلاء كل الفرنسيين أمر منطقي وطبيعي في سبيل استرجاع حريته المسلوبة.

يصور العالم الألماني "**موريس فاغنر**"* (M.Wagner) الأمير "عبد القادر" في صورة الرجل القوي والفارس البارع، وهو يصف لحظة لقاء الأمير بالجنرال "بيجو" (Bugeaud) من أجل إمضاء معاهدة تافنة، فما إن لمح هذا الأخير الأمير حتى «دفع جواده بضع خطوات نحوه داعيا إياه بلطف أن يفعل مثله. إلا أن الأمير لم يعبأ به، بل حمل جواده الصحراوي البديع على الرقص والتهادي، وأظهر في أثناء ذلك مهارة فائقة في الفروسية... وإذ لم يرد الأمير السير لملاقاة الجنرال، فقد وثب بيجو فوق جواده إليه ومد يده لمصافحته، فمسكها الأمير في عزة وأنفة وبصورة مهينة لجنرالنا... وكان الجنرال بيجو قد نزل عن جواده، ونزل الأمير كذلك واستلقى على العشب من غير أن يدعو الجنرال إليه. أما نحن فإن الأمير لم يتكرم علينا بنظرة واحدة. وقد بدا عليه أنه يحتقرنا احتقار الكلاب.»[11] إن الصورة التي نقلها الرحالة تظهر الأمير "**عبد القادر**" في أوج قوته وشجاعته، فخروج الجنرال "**بيجو**" شخصيا للقاء الأمير وتوودده له وانتظاره الطويل للأمير، إنما يدل على المكانة السياسية والعسكرية التي يحظى بها الأمير، ويؤكد على حاجة الفرنسيين إلى عقد الهدنة مع الأمير وذلك لحاجتهم إلى السلم في الغرب الجزائري من أجل أخذ قسط من الراحة وبالتالي التفرغ لمحاصرة "**قسنطينة**" كمحاولة منهم لمحو عار الهزيمة الأولى التي تكبدها الجيش الفرنسي في قسنطينة التي أراد ربطها بالعاصمة.[12]

ولكن صورة الأمير الشجاع لم تسلم من التشويه ومن ذلك ما نقله الرحالة "**بوكلر موسكاو**" من خلال شهادة صديقه "كليميرات" قائلا: «إن الانطباع الذي تركه الأمير في نفسي هو انطباع سياسي أوروبي حاذق لبق أكثر منه انطباع محارب عربي مخيف.»[13] جسد الرحالة الأمير عبد القادر في صورة السياسي الأوروبي المتمرس واللبق مستبعدا أن يكون القائد العربي بهذه الموصفات وفي ذلك انتقاص من قيمة الإنسان العربي، فالأمير عبد القادر كغيره من القادة العرب رجل سياسة ومقاومة يتمتع بحنكة سياسية وعسكرية مكنته من بناء دولته وتنظيم شؤونها، مما جعل الكثير من الأوروبيين بمن فيهم الجنرالات الفرنسيين يكنون له التقدير والاحترام ويحسبون له ألف حساب قبل مفاوضته وقتاله.

إن الصورة التي جسد فيها "**كليميرات**" الأمير "عبد القادر" صورة إيجابية في ظاهرها لكنها منافية للواقع في مخبرها، فهي نابعة من اللاوعي الجمعي للذهنية الأوروبية الذي ينتقص من مكانة الإنسان العربي ويسعى جاهدا إلى تهميشه، فهذه الصورة يمكن إدراجها ضمن الكتابات التي تسعى إلى تشويه صورة المقاوم والمجاهد الذي يناضل من أجل قضية كبرى وهي تحرير أرضه، «وبقدر ما كان الجهاد مبدأ مقررا في الإسلام، فأن الآلة الدعائية المسيحية أعطت لهذه المسألة بعدا دراميا لتصوير المسلم في صورة أكثر شيطانية وشراسة ووحشية.»[14] إن تصوير المسلم المدافع عن شرفه ووطنه في صورة إنسان متوحش يخضع لغريزته، هو نوع من الحرب الإعلامية التي نراها امتدادا للحروب الصليبية، فالكنسية لم تستوعب فكرة انتشار الإسلام في للعالم، الأمر الذي دفعها إلى مباركة ودعم كل الحروب على المسلمين، وراحت تقدم الإسلام كديانة للعنف والهمجية. وهذا ما يجعل من نظرة الأنا الأوروبية المتعصبة إلى الآخر العربي نظرة دونية بإصرارهم على اعتباره طرفا مهمشا في مقابل تمركز الأنا الأوروبي في الريادة باعتبارها صفوة الأجناس وأكثرها دهاءً وحنكةً ونبوغًا. وإن صادف ونظروا إلى العربي نظرة إيجابية، فإنهم يعتبرونه أوروبيا أو يشبه الأوروبيين... !

3. صورة الأمير المتدين (الفاضل)

يصور " **موريس فاغنر**" الأمير "**عبد القادر**" في صورة الشخصية المتدينة الزاهدة قائلا: «وكان الأمير تقيا ورعا متحمسا لدينه، وكان يلقي الخطب في بعض الأحيان وقد ألقى خطبه في جامع معسكر، فمكنته هذه الخطب من أن يضم قبيلة بني عامر إلى صفه بعد أن كان شيوخها قد قرروا الخروج عليه، فأصبحوا منذ ذلك الحين من أخلص أتباعه.»[15] تبدو صورة الأمير لدى الرحالة الألماني "**فاغنر**" مخالفة تماما لما جاءت به بعض الكتابات الفرنسية التي جعلت منه شخصا سيئا ينهب قصور الآخرين ويقطع أشجارهم ويأخذ خيول ونساء الآخرين بالقوة كما لو

كان الأمير مجرما كبيرا، فالأمير حسب "**فاغنر**" شخصية متدينة تتميز بالحكمة والعدل، ولعل هذا ما جعل الكثير من القبائل تلتف حوله وتدعمه في كل شيء. فقد مارس الأمير عبد القادر «الجهاد الأكبر منذ عودته من الحج. ونادى بمجاهدة النفس والصراع ضدها، والجهد الشخصي، وكان يدرس ليتعرف على ذاته، ويصارع الأهواء، غير أنه كان زوجا حنونا ودودا، وأبا يقظا، لم يكن متزمتا في الدين، يمارس التقشف والتأويل، ويصوم غالبا، ويدرس دائما ويستشير، ويشرح، لكن لم يكن له مظهر النساك المنقطعين عن الدنيا، بل إنه منفتح للحياة مقبل عليها بحيوية ويقظة.»[16] فقد اتصف الأمير بالكثير من القيم الإنسانية والصفات التي تؤهله للإمارة، حيث جمع بين العلوم الدينية والدنيوية، فضلا عن شجاعته وبراعته في الفروسية والقتال.

يستمر "**فاغنر**" في الثناء على أخلاق الأمير "**عبد القادر**" الذي يعتبره حليما مع رعيته بقدر ما «كان الأمير يسوس رعيته بالعدل، ولم تقل عمليات الإعدام أبدا بقدر ما قلت في أيامه، والجدير بالاعتبار أيضا أنه لم تقع قط محاولة لاغتياله حتى أيام محنته وهزيمته... في حين أن أغلب الدايات كانوا قد انتهوا نهاية دموية، وأن الداي حسين آخر دايات الجزائر كان يلازم القصبة ولا يتركها، وأن الدايات لم يكونوا أبدا يجرؤون على القيام بنزهات من غير أن يرافقهم عدد كبير من الحرس التركي، أما الأمير فكان يسكن في خيمته مفتوحة ويسير بمفرده بين القرى من غير سلاح وكان يُستقبل أينما حل باحترام بالغ وتقدير فائق.»[17] إن ما أورده "**فاغنر**" حول الأمير يُبين مدى الاختلاف بين الأمير "**عبد القادر**" وبين السلاطين العثمانيين الذين لا يحتكون بالشعب أبدًا وإن صادف وخرجوا، فإنهم يخرجون رفقة عدد هائل من الجند لذلك يمكن القول إن عدل الأمير مع رعيته منحه الأمن والاحترام بين الناس، فالأمير «لم يعرف مجاهدا وسياسيا فحسب، ولم يبرز للناس عالما أو زعيما أو مصلحا أو قائدا أو صوفيا بل كان يجمع ذلك كله في نفسه الشماء، فقد بدأ حياته في بيت علم وصلاح وفضل فنشأ نشأة دينية ترتكز على الآخذ بأسباب العلم المشفوع بالعمل.»[18] إن النشأة الصحيحة التي نشأ عليها الأمير عبد القادر الجزائري كان لها الأثر البالغ في تكوين وصقل شخصيته التي احتفى بها الصديق والعدو.

يستدل "**فاغنر**" على حلم الأمير "**عبد القادر**" بعفو هذا الأخير عن قبيلة الحشم التي خدعته بعد سقوط معسكر، حيث تقابل مع شيوخهم بعد معاهدة تافنة -التي زادته قوة وبينت مكانته العسكرية في المنطقة- مستفسرا عن سبب خيانتهم له بنهبهم لقصره وسرقة ممتلكاته وقد أجابه شيوخ القبيلة الذين وصفهم "**فاغنر**" بشاحبي الوجوه قائلين: «عفوك. لقد

خلب الشيطان لبنا، فظننا أن الله تخلى عنك، فلك أن تعاقب أكبرنا ذنبا. فقال الأمير بلطف مثير للإعجاب: امضوا في سبيلكم ! لقد عفوت عنكم ونسيت ما مضى. لقد أراد الله أن يعلمكم نظامي مرة أخرى. احتفظوا على كل حال بما سلبتموه مني إذا كان لا يعذبكم ما تأكلون من مال حرام.»[19] إن ما أورده "**فاغنر**" صورة إيجابية للأمير، فحلمه وعفوه عمن أساء له أكسبه ثقتهم. إذ يذكر الرحالة أن قبيلة الحشم قد أخلصت للأمير منذ تلك الحادثة وأن الأمير لم يندم على صفحه عنهم.

يحاول الرحالة الألماني "**موريس فاغنر**" نقل صورة تصف في مجملها طبيعة الحياة التي يحياها الأمير "**عبد القادر**" قائلا: «وحياة الأمير بسيطة كثيابه، فهو يسكن منذ أن هدم قصره في معسكر خيمة عادية لا يتركها... وطعامه زهيد، ولا يخشى الأمير الجوع ولا التعب، ويعتبر أحسن الفرسان في بلاد الجزائر.»[20] إن الوصف الذي جاء به "**فاغنر**" عن الأمير "**عبد القادر**" لا يكاد يخرج عما جاءت به كتب التاريخ، وما كتبه بقية الرحالة الذين أتيحت لهم الفرصة لرؤية الأمير، فالكل شهد بورع وبساطة الأمير فضلا عن شجاعته وفروسيته التي أبهرت الجنرال "**بيجو**" شخصيا.[21]

بينما يرى الضابط الألماني "**كليمانس لامبينغ**" (C.Lamming) أن الأمير "**عبد القادر**" يشبه إلى حد بعيد "**يوغرطة**" إلا أن الأمير يتفوق عليه في نبله، ومرد ذلك أن الأمير حرم «على رجاله قتل الأسرى وكان يعامل المرضى معاملة إنسانية كبيرة، ويرجع ذلك في نظره إلى ثقافة الأمير الأوروبية التي تلقاها عن والده، وكان والده عاش مدة في إيطاليا واطلع على عادات أهلها وتقاليدهم... البدو يجلون الأمير منتهى الإجلال لعدة اعتبارات... منها أنه خليفة عليهم.»[22] يبدو"**لامينغ**" غير مطلعٍ على القيم الإسلامية التي تدعو إلى حسن معاملة الأسرى -مهما كان جنسهم ودينهم- وعدم الإساءة إليهم، فالضابط يحاول نسب هذه الأخلاق الفاضلة إلى أوروبا زاعمًا أنها ثقافة أوروبية قد ورثها الأمير عن والده "**محي الدين**" وهذا ما يُعد تجسيدا للمركزية الغربية، ورفضا للآخر العربي الهامشي الذي كثيرا ما يتم تصويره من قبل الأوروبيين في صورة المتخلف والهمجي العنيف واللاإنساني، ثم يتم توارث مثل هذه الصور السلبية عن العربي-المسلم خصوصا- في الثقافة الأوروبية لتصبح فيما بعد صورة نمطية تلاحقه إلى الأبد. وتجدر الإشارة إلى اعتراف الكثير من الرحالة الأوربيين بالمعاملة الحسنة للجزائريين للأسرى الأوربيين ومن ذلك الأسير الفرنسي "تيدنا" الذي عبر عن إعجابه الشديد ودهشته من المعاملة الحسنة للقراصنة الجزائريين لهم.

ينحو الألماني "**لودفيغ بوفري**" (Ludwig.B) منحى "**كليمانس لامبينغ**" معتبرا أن صفات "**يوغرطة**" قد تجلت في الأمير "**عبد القادر**" قائلا: «إن أوصاف يوغرطة كما ذكرها لنا سالوست قد تجلت مرة أخرى في شخصية الأمير "**عبد القادر**" عندما اقتضت الظروف ظهوره على مسرح الأحداث، فقد جعلت منه الحوادث التي جرت في بلاده بطلا، ولولاها لظل مجرد رجل بسيط أو مرابط ذي نفوذ كبير، وهي أقصى مكانة يمكن أن يصل إليها تحت الحكم التركي. إن الأحداث قد جعلت منه رجل تاريخ.»[23] إن ما أورده الرحالة عن المكانة التي يمكن أن يحظى بها الأمير في ظل الحكم العثماني، حقيقة أثبتها التاريخ، فقد همّش العثمانيون الجزائري ولم يسمحوا له باعتلاء المناصب القيادية. أما فيما تعلق بتشبيه الأوروبيين للأمير "**عبد القادر**" "**بيوغرطة**" فيمكن تفسيره بحنين الأوروبين إلى أسلافهم الرومان وبالتالي إسقاط حرب الأمير مع فرنسا على حرب "**يوغرطة**" مع الرومان.

لم يغفل الفرنسيون في تعاملهم مع الجزائريين ماضي الجزائر المرتبط في وقت من الأوقات بروما المسيحية ويبدو ذلك جليا في رسالة الأسقف "**ديبيش**" بمناسبة تكليفه بإحياء الكنيسة الإفريقية بتنصير سكان الجزائر والتي يقول في مقطع منها: «يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي... وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية.»[24] إن الحركات التبشيرية يمكن اعتبارها إحدى سواعد الاستعمار التي تفتح له الطريق باستمالة السكان روحيا. فقد استثمرت فرنسا وشجعت ودعمت الحركات التبشيرية في الجزائر عن طريق أعمال خيرية يقوم بها الرهبان والقساوسة الذين أرادوا إمالة السكان روحيا بالاستثمار في ماضي الجزائر التي كانت تابعة لروما، ومع ذلك، فقد لقيت هذه الحركات التبشيرية صَدًّا كبيرا من الجزائريين بسبب تمسكهم الشديد بمعتقدهم ولغتهم.

أما فيما تعلق بقول الرحالة الألماني "**لودفيغ بوفري**" أن الأمير ما كان ليحظى بهذه المكانة في ظل الوجود التركي، فكلامه صحيح، فقد استبد الأتراك بالحكم وحرموا الجزائريين من مختلف المناصب القيادية والسيادية التي كانت حكرا على العرق التركي دون سواه. ولابأس أن نستدل برد فعل الباب العالي بعد عقد الأمير "**عبد القادر**" لمعاهدة تافنة مع الفرنسيين، حيث يظهر سخط العثمانيين على هذا الصلح في الرسالة التي أرسلها السفير العثماني "**نور الدين أفندي**" في 11 جوان 1837 إلى وزير الخارجية الفرنسي يطلب فيها تعيين وقت لمقابلته، وبيّن السفير في رسالته «استغرابه وتأسفه الكامل الموجب.. بسبب وضع شخص عادي تابع للسلطنة العلية، بشكل حاكم. ومصالحة جناب فخامة دولة فرنسا مع ذلك الشخص المرقوم أمر مناف لأصول روابط الإخلاص والصفاء القائمة بين فرنسا والدولة العثمانية العلية».[25] لا

تخلو هذه الرسالة من نبرة الاحتقار والتكبر الذي مارسه العثمانيون على الجزائريين، فالسفير يحاول اختزال مكانة وقوة الأمير "**عبد القادر**" ويصفه بالإنسان العادي الذي لا يستحق تفاوض فرنسا معه، ربما لأنه ليس واحدا منهم، فالأتراك لم يسمحوا للأهالي بإعتلاء مناصب حساسة منذ وطئت أقدامهم الجزائر، وهذه العقدة ظلت تلازمهم حتى بعد سقوط الجزائر في يد الفرنسيين، فطلبهم من الفرنسيين بعدم التصالح مع الأمير يمكن تفسيره بدعوة فرنسا إلى مواصلة قتاله والقضاء على ثورته ودولته الحديثة في مقابل بقاء **"أحمد باي"** !

أما المؤرخ والجاسوس الفرنسي "**أدريان بير بروجير**"، فيذكر بعض الصفات الفيزيولوجية للأمير "عبد القادر" حتى يتمكن من نقل صورة متكاملة للأمير، حيث يقول: «وعلينا أن نعترف بأنه لا يشبه في أي شيء الصورة البذيئة التي تروج عنه في فرنسا مع الإدعاء أنها صورته... إن عبد القادر على العكس من ذلك، فهو رجل متميز بمظهر الوداعة والحزن الذي يحتفظ به حتى في الوقت الذي تفرض عليه طبيعة عمله، فإن المشاعر التي تطغى على ملامحه هي مشاعر ذات طبيعة كلها دينية، إن الوجه له شيء من ذلك الورع الذي يذكر المرء برؤوس الرهبان الجميلة.»[26] لقد سمحت اللقاءات المتكررة للوفد مع الأمير بتحليل شخصيته حسب "**أدريان بير بروجير**" وهذا ما دفع بصاحب الرحلة إلى نفي الصورة المشوهة التي كثيرا ما كانت تروج لها السلطات الاستعمارية ، حيث يلجأ المستعمر إلى تشويه حتى الصورة الفيزيولوجية للمقاومين. أما فيما تعلق بوصفه بالانسان الورع والمتدين، فقد أشار إلى هذا العديد من الرحالة الذين شاهدوا الأمير على غرار النقيب السويسري "**فون مورلت**" (Von Moralet) و**"كليمانس لامينغ**" وغيرهم. كما أشاد الرحالة بفصاحة الأمير "**عبد القادر**" وهذا أمر لا نشك فيه وهو الشاعر حتى أن الرحالة شبهه برهبان الكنائس ذوي الوجه الحسن.

كما يقدم الرحالة والأديب الألماني "مالتسان"صورة فيزيولوجية للأمير عبد القادر بعد الالتقاء به في دمشق أي بعد نفيه من قبل فرنسا إلى سوريا قائلا: « لقد أصبح الأمير الآن مواطنا مسالما من مواطني دمشق، تضخمت جثته. وكم حاولت عبثا أن أعثر على تعبير حربي في ملامحه, حتى اللباس الشامي، وهو يتكون من القفطان المزركش. أما البُرْنس* العربي الذي كان يرتديه سابقا، وهو لا يقل اهتراء ورثاثة عن برانيس البدو الآخرين، فقد تخلى عنه يوم أن تخلى عن حياته الحربية. ومع ذلك فإنه لم يكن قد وصل بعد إلى الحد الذي يجعلني فيه أعتقد أنه يحب الفرنسيين، فهو لا يحتفظ بذكرى طيبة إلا للملك نابليون الذي أعاد له حريته النسبية فقد قال لي باللغة العربية (السلطان أبو ليون راجل الفرنسيين لخرين الكل كلاب !)»[27] إن ما أورده الرحالة صورة واقعية للأمير بعد نجاح فرنسا في القضاء على مقاومته ونفيه إلى دمشق

التي أتم فيها ما تبقى من عمره. وتجدر الإشارة إلى إن وصف "مالتسان" للأمير "عبد القادر" يتطابق مع مختلف الصور واللوحات الفنية التي تجسد شخصيته.

4. صورة الأمير الماكر السفاح

لا تخلو نصوص أدب الرحلة الأوروبية من تشويهٍ لصورة الجزائري وخاصة ما تعلق بمعتقده الديني وحياته الاجتماعية والتاريخية، إذ يحوي نص الرحالة الفرنسي **"ألفونس دوديه"*** (A .Daudet) صورا مشوّهة للجزائري تهدف في مجملها إلى تزييف الحقائق وتحريف التاريخ كما تضمر الكثير من الحقد والكراهية للأمير "**عبد القادر**" قاهر الجيوش الفرنسية، حيث يحاول الرحالة من خلال القايد "**سيد عمر**" الذي يتهم الأمير بالسرقة والقتل والتعدي على النساء، على الطريقة الفرنسية. وتتضح هذه الصورة في قوله: «وبعد أن كان سيد عمر عدوا لنا وحليفا لعبد القادر انتهى إلى الاختلاف مع الأمير، وأعلن خضوعه للسلطة الفرنسية. ولكي ينتقم الأمير منه دخل إلى مليانة في غياب سيد عمر، ونهب قصوره، وقطع أشجاره، وأخذ خيوله ونساءه، وسحق رقبة أمه تحت غطاء صندوق كبير.»[28] يُظهر النص المنتمي إلى أدب الرحلة الأخير الأمير "**عبد القادر**" على أنه شخص سفاح لا يتسم بأي صفة إنسانية، فتجدر الإشارة فيما يتعلق بهذه النقطة المهمة إلى الأخلاق التي دعا إليها الإسلام أثناء الحروب من عدم قتل الأبرياء والنساء والشيوخ وكذا الإفساد في الأرض بقطع الأشجار وإبادة الحيوانات. ونحن لا نشك في مدى التزام الأمير عبد القادر بهذه السنن التي أمر بها النبي(ص) المسلمين في حروبهم مع الأعداء.

إن الأديب الفرنسي "ألفونس دوديه" يسعى إلى تشويه صورة الأمير "عبد القادر" انطلاقا مما رواه له القايد الخائن "سيد عمر"، مما يجعلنا نصطدم بصورة مزيفة لم تثبت تاريخيا، لأنّ التاريخ وحده كفيل بكشف الحقائق وإزالة الستار عن المضمر والخفي ذلك أن «الثقافة الأوروبية الحديثة قامت على أساس خرافة مفادها الإدّعاء بالاستمرارية في تاريخ القارة الأوروبية وإبداع جذور قديمة وهمية للتضاد بين هذا التاريخ المزعوم وبين تاريخ المنطقة التي تقع على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، هذا هو مضمون التمركز الغربي وهو مضمون قسّم العالم إلى مركز وأطراف، استنادا إلى اختراع خرافة "الغرب الأبدي" المضاد "للشرق الأبدي" وقد كان هذا الاختراع المزدوج ضروريا من أجل تأكيد غلبة عناصر التطور المستمر في "الغرب" وغلبة عناصر الثبات في"الشرق".»[29] لذلك يجب أن ندرك أن مثل هذه الصور المشوهة قد تم تشكيلها وفق مرجعية إمبريالية استعمارية، وتمّ تمثُلها في النص الرحلي

كصورة نمطية ثابتة في اللاوعي الجمعي للأنا الفرنسي السلطوي الذي صاغ الكثير من الحقائق المزيفة تاريخيا ليبرّر سياسته الاستعمارية التوسعية.

في حين يرى "**أدريان بير بروجير**" أن السلطات الفرنسية قد بالغت في احترام الأمير ويعبر عن رفضه لمبالغة الفرنسيين في إعلاء شأن الأمير قائلا: «ولكننا لا نستطيع أن نمنع من الاعتراف بأن هذا الزعيم كان دائما جديرا بحظوظ عالية ففي نفس الوقت الذي عرف فيه كيف يغتنم الظروف المواتية كان أيضا لا يترك الفرصة لخصمه أن يهزمه».[30] لا يكف "**أدريان**" عن التقليل من شأن الأمير، وقد سعى هذا الضابط المكلف بمهمة رسمية* سرية إلى ضرب إنجازات الأمير عرض الحائط والانتقاص منها متى سمحت الفرصة، فقد «أقام الأوروبيون منذ القدم ثنوية تعارضية بين الشرق والغرب، وضمنوها نزعة مركزية أوروبية تمجد الغرب وتحط من شأن الشرق. وقد اصطبغت هذه النزعة بألوان متباينة ومختلفة جغرافية وثقافية وعرقية ودينية وكان ثمة في البداية شعور بالنقص تجاه الإسلام والعرب وأحيانا أخرى شعور بالخوف من هيمنة هذا العالم صحبه شعور بالإعجاب بالشرق.»[31] فقد ألقت هذه الأفكار بظلالها على العلاقة بين العالمين وأسهمت في تأجيج الصراع بين الطرفين، فإنجازات الأمير حسب "**أدريان بير بروجير**" لا تكاد تخرج عن حسن حظ الأمير واغتنامه الفرصة المناسبة. وهذا ما نعتبره انتقاصا من قيمة مقاومة الأمير وهروبا من الاعتراف بمكانته السياسية والعسكرية المهمة في تلك الفترة.*

5. **خاتمة:**

أخيرا لا بد من القول إن كتابات الرحالة (علماء، أدباء، عسكريين، قناصل، جواسيس...) من المراجع المهمة التي تساعد المؤرخين في عملية تدوين التاريخ، فضلا عن ذلك فكتابات الرحالة تعد مصادرا غنية لمختلف المعلومات الجغرافية والعلمية والإثنوغرافية بفضل ما تحويه من معلومات قيمة ونادرة في الوقت ذاته، فالاحتكاك المباشر للرحالة مع شعوب البلدان التي قاموا بزيارتها أتاح لهم التعرف على تلك الشعوب بكل تفاصيلها.

قدمت كتابات الرحلة ومذكرات القادة العسكريين الفرنسيين –نماذج الدراسة- الأمير "عبد القادر" في جملة من الصور المتراوحة بين الإيجابية والسلبية، أما الصور الإيجابية فنجملها في صورة الفارس الشجاع والسياسي المحنك، فضلا عن الإنسان المتدين والحليم الذي يحظى بمكانة واحترام كبيرين وهي صورة واقعية وموضوعية أثبتها التاريخ. أما الصورة السلبية فتستمد مرجعيتها من تصورات العسكريين عن العربي والتي كانت خاضعة لصور نمطية مترسبة في الذاكرة الجمعية للمجتمع الأوروبي (الاستعماري).

إن التحيز للاستعمار الفرنسي بدا واضحا في حجم التدليس الذي مس الصورة التاريخية للجزائر ممثلة في شخص الأمير "عبد القادر" الذي جسدته الكتابات نماذج الدراسة في صورة السفاح والماكر واللص وغيرها من الصور الإقصائية والتبخيسية، وهذا يكشف عن الدعم الشديد لهذه الفئة للسياسة الاستعمارية الفرنسية القائمة أساسا على الاحتلال وإقصاء الآخر من كل النواحي.

إن الصور المشوهة للتاريخ الجزائري والثورة التحريرية وقادتها كانت بسبب التعصب في الرؤية انطلاقا من عقدة التفوق والمركزية عند الأوروبي، فضلا عن دعم الرحالة للاستعمار بحكم انتمائهم لفرنسا، تماما كما تشكلت صورة الفرنسي المنبوذ من طرف الجزائري انطلاقا من موقفهم من الاستعمار. ولعل صياغة مثل هذه الصور نتج أساسا عن الصدام الحضاري بين الشرق والغرب الذي ولّد هوة عميقة بين هذين العالمين.

مراجع البحث وإحالاته:

1. حسين محمود فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، العدد 138، 1989، ص: 12، 13

2 . أبو القاسم سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 203

* . الآخر: مفهوم يمكن تقصي أصوله في أعمال هيجل، ويوجد في مختلف الاتجاهات الفكرية التي تعالج نظرية المعرفة، وفي مسائل الهوية الثقافية وفي التحليل النفسي... يمكن وصف مصطلح "الآخر" بأنه يمثل شكلا من أشكال التصور الثقافي للأفكار والمفاهيم. إذ يمثل هذا التصور أساس بلورة هويات الذوات الثقافية من خلال علاقات القوة السياسية... للتعمق أكثر ينظر: أندرو إدجار وبيتر سيدجويك. موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات. تر: هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجوهرى، المركز القومي للترجمة، ط2، 2014، ص: 47

3. محمد غنيمي هلال. الأدب المقارن. دار العودة، بيروت، ط3، 1983، ص: 420

4. المرجع نفسه، ص: 11

*. **الأمير بوكلر موسكاو (Puckler-Muskau):** أحد أعلام طبقة النبلاء الألمان ق:19 كاتب ومستشرق ورسام ألماني. اشتهر برحلاته إلى شمال إفريقيا التي قام بها سنة 1835 أصدر سنة 1836 كتابه المعنون بـ: (سيملاسو في إفريقيا).- قسمه إلى خمسة أجزاء- يرى "فاغنر" أن رحلة الأمير "بوكلر" قد اهتمت بالطبيعة وأنها ليست ذات أهمية تاريخية فالأمير "موسكاو" قد أسهب في وصف طبيعة الساحل الجزائري عنابة والجزائر باعتباره ينتمي إلى الحركة الرومانتيكية التي كانت سائدة بأوروبا في عصره، كما نقل بعض الرسائل التي يتم تبادلها بين الجنرالات والأمير عبد القادر... تبنى الرحالة النزعة الاستعلائية على الأهالي وكثيرا ما يخطئ في التمييز بينهم وبين الأتراك. تركز اهتمامه بمغامراته فضلا عن اهتمامه بالآثار الرومانية

التي يحس برابطة روحية بينها وبينه. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. ص: 27،273

5. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1855.1830). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص:30

6. للتوسع أكثر ينظر: علي محمد محمد الصلابي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). دار المعرفة، بيروت، 2015، ص: 419

*. **هاينريش فون مالتسان: (Heinrich von Maltzan)**: ولد هاينريش كارل ايكارد هيلموت فون مالتسان في 06 سبتمبر 1826 بمدينة دريسدن ، وهو أكبر أبناء البارون هاينريش كارل فرنتس آدولف فول مالتسان، وكانت أمه بارونة من أسرة واورالي – أباي الإنجليزية. تعلم "مالتسان" في مدارس فيسبادن، وهايدلبيرغ، وماومانهيم، ثم درس الحقوق في جامعات مونشن، وهايدلبيرغ، وهارلانغن، وتعلم إلى جانب الحقوق اللغات الشرقية... شغل وظائف حكومية عقب تخرجه سنة 1850. وقد بدأ "مالتسان" رحلاته سنة 1852 فزار القسم الأكبر من أوروبا ، ثم قام برحلة إلى فلسطين وسوريا والمغرب والجزائر التي أقام فيها مدة تعلم فيها الدارجة الجزائرية على يد معلم جزائري في البداية ثم اتخذ معلما آخر بعد أن هاجر منها... رجع "مالتسان" إلى الجزائر عدة مرات وكانت آخر مرة سنة 1860، وقد زادت معرفته كثيرا بأهلها وبتاريخها وآثارها وبطبيعة أراضيها خاصة وأنه لم يكن يعاشر سوى الجزائريين. وتجدر الإشارة إلى أن "مالتسان" كان شاعرا وكاتبا روائيا كتب أشعارا صور فيها مشاعره تجاه الطبيعة في الجزائر، كما كتب روايات استمد أحداثها من الوقائع التاريخية . (جواهر الباشا) المنشورة ضمن كتابه صور من التقاليد التونسية والجزائرية الذي نشره سنة 1869، ورواية (قبر الرومية) المنشورة سنة 1865 والتي استمدها من الأساطير الشعبية الجزائرية... وقد أتاح له إتقان الدارجة الجزائرية التواصل مع مختلف فئات الشعب والاحتكاك المباشر بهم والإحاطة بعاداتهم وتقاليدهم، وبالتالي تقديم نظرة شاملة عن الجزائر في منتصف القرن التاسع عشر من خلال كتابه. وهذا ما يجعل من مؤَلفه عن الجزائر أكثر تميزا مقارنة مع كتابات أبناء بلده على غرار "موريس فاغنر" و"بوكلر موسكاو" وغيرهم. حيث سعى أن يكون كتابه شاملا في ما يخص العادات والتقاليد وأساليب الحياة المختلفة والتحزبات القبلية. خاصة وأنه طاف جميع أنحاء الجزائر، حيث امتدت رحلته من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى بعض المدن الصحراوية. ويعلق "مالتسان" على الغرض من وراء تسجيل مذكراته عن رحلاته في إفريقيا خلال ثلاث سنوات قائلا: أن الهدف الأول يكمن في تقديم صورة صادقة قدر الإمكان عن طبائع شعوب المغرب. والتنبيه إلى ما في هذه المناطق من آثار تاريخية هامة يجهلها الجمهور الألماني لاسيما الآثار الرومانية. للتوسع أكثر ينظر: هاينريش فون مالتسان. ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا. ج1، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1976، ص: من 03 إلى 16

7 . المرجع نفسه ، ص: 260، 261

8 . المرجع نفسه، ص: 261

*. **أدريان بير بروجير (Adrien.Berbrugger):** سياسي ومؤرخ وجاسوس ومستشرق فرنسي جاء إلى الجزائر سنة 1835 رفقة الماريشال "كلوزيل" وقد عينه هذا الأخير كاتبا عاما له ، مما سمح له بمرافقته في حملاته العسكرية آنذاك. اهتم "بير بروجير" بجمع الكتب والمخطوطات والوثائق من العائلات والمساجد والزوايا، وحملها إلى الجزائر العاصمة حيث تم تعيينه هناك على رأس أول نواة لمكتبة عمومية التي أصبحت اليوم المكتبة الوطنية. عكف "بير بروجير" بالعاصمة على دراسة هذا التراث المكتوب بغية التعرف أكثر على تفاصيل الجزائريين (عادات وتقاليد وثقافة ودين وأفكار) ومن ثمَّ تزويد الفرنسيين بها وقت الحاجة إليها. إن رحلة "بير بروجير" مع الوفد الأوروبي المتكون من سبعة أوروبيين إلى الأمير عبد القادر سنة 1837 جاءت في ظرف سياسي خاص فمن غير الممكن أن يخرج الكاتب العام للمريشال "كلوزيل" في رحلة تهدف إلى التعرف على طبيعة وعادات وتقاليد السكان، وبالتالي إعداد تقرير عن وضع السكان الاقتصادي والسياسي وعن طبيعة المنطقة في الحرب والسلم، وعن خطط الأمير نحو الشعب ونحو الفرنسيين حاضرا ومستقبلا. ينظر: أدريان بير بروجير، مع الأمير عبد القادر- رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837 -1838)، تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2006، ص: 8،7

9. المرجع نفسه، ص: 83

10. المرجع نفسه، ص: 90

*. **مويس فاغنر (Moritz Wagner):** عالم طبيعة ورحالة ألماني زار الجزائر بين 1835 و1836 مراقبا وجامعا للأشياء الطبيعة وقد ألف فاغنر كتابه عن الجزائر تحت عنوان: "رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836، 1837،1838" صدر هذا المؤلف سنة 1841 حيث تم تقسيم كتابه إلى ثلاثة أجزاء حيث وصف في الجزء الأول: مدينة الجزائر والمدن الأخرى التي شاهدها في حين خصص الجزء الثاني للحديث عن تاريخ الاحتلال والمعارك التي كان شاهدا عليها أما الجزء الثالث فقد خص به المجموعة الحيوانية الجزائرية بمعية أخيه "رودلف" في حين خصص الجزء الثالث لتاريخ الجزائر وسرد أبرز المعارك التي حضرها. ينظر: أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1855.1830). ص: 30

11. المرجع نفسه، ص:48

12. للتوسع ينظر: ليون روش. مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847. تر: يوسف مناصرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص:23

13. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1855.1830). ص: 31

14. محمد عابد الجابري. الإسلام والغرب (الأنا والآخر). الكتاب الأول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص: 119

15. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1855.1830). ص: 56، 57

16. برونو إتيين. الأمير عبد القادر الجزائري. تر: ميشيل خوري، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1997، ص: 132

17. المرجع نفسه، ص:58

18. نزار أباظة. الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد. دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص: 05

19. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830.1855). ص:58

20. المرجع نفسه. ص:55

21. للتوسع ينظر: علي محمد محمد الصلابي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). ص: 443

22. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830.1855). ص: 96

23. المرجع نفسه، ص:99

24. خديجة بقطاش. الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871. ص: 52

25. أرجمند كوُران. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847). تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط2، 1974، ص: 68، 69

26. أدريان بير بروجير. مع الأمير عبد القادر. تر: أبو القاسم سعد الله، ص: 99

* . **البُرْنُسُ:** (البرنوس، السَّلْهَامُ بالعامية الجزائرية): كل ثوب رأْسه منه مُلْتَزِقٌ به، دُرَّاعَةً كان أ مِمْطَراً أَو جُبَّة. قال الجوهري :البُرْنُسُ قَلَنْسُوَة طويلة، وكان النُّسَّاكُ يلبسونها في صدر الإِسلام، وقد تَبَرْنَسَ الرجل إِذا لبسه. نقلا عن قاموس المعاني الإلكتروني: https://www.almaany.com/

27 . هاينريش فون مالتسان. ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا. ج1، تر: أبو العيد دودو، ص: 262

*. **ألفونس دوديه (Alphonse Daudet):** روائي فرنسي كبير أهم قصصه ورواياته: «الشيء الصغير» سنة 1868، «وتارتارين تاراسكون» سنة 1872، و«قصص يوم الاثنين» سنة 1873. زار "ألفونس دوديه" الجزائر أواخر سنة 1861 للاستشفاء من داء السل فقضى فيها ثلاثة أشهر زار فيها الجزائر والبليدة وأقام بدينة مليانة، وكتب من وحيها عدة مذكرات سفر، نشرت في الصحافة من بينها مجموعة "رسائل طاحونتي 1869" و"حكايات الاثنين 1873". ينظر: أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.، ص: 53

28. المرجع نفسه. ص:57.56.

29. عبد الله إبراهيم. المركزية الغربية. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص: 20

30. أدريان بير بروجير. مع الأمير عبد القادر. تر: أبو القاسم سعد الله ، ص: 82

*. بعد فشل الفرنسيين في احتلال مدينة قسنطينة لجأ المستعمر الفرنسي إلى توقيع معاهدة تافنة سنة 1837 حتى يتسنى لهم التفرغ لمعاودة احتلال قسنطينة ولما نجح في احتلالها في خريف ذات السنة دخل المستعمر في نزاع مع الأمير ذلك أن هذا الأخير تمسك بالبند الذي يعطيه الحق في الإقليم الممتد من

قسنطينة إلى تونس وهذا ما لم يوافق عليه المستعمر، فقرر الأمير التوجه بجيشه إلى إقليم قسنطينة وعسكر هناك بالونوغة والوادي الأكحل وبدأ في جني الضرائب التي تعني طاعة ومبايعة الشعب له حتى أنه دخل البويرة ونصب العديد من خلفاءه في كل من سطيف والحضنة والزيبان مما جعل المستعمر يشعر بالخطر على مصالحه خاصة وأن فرنسا كانت تسعى إلى ربط قسنطينة بالعاصمة برا ثم التوسع نحو الزبان ومن هنا جاءت فكرة إرسال الوفود التي تهدف إلى التعرف على نوايا الأمير والكشف عن مدى جاهزية جيشه ونفوذه بين الشعب . ينظر: أدريان بير بروجير. مع الأمير عبد القادر. تر: أو القاسم سعد الله، ص: 5-6. (بتصرف).

31. الطاهر لبيب. صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2008، ص: 436

*. يحاول الضابط الفرنسي تصوير فرنسا بلدا يحترم نفسه ويفي بوعده، ففي كثير من الأسطر كان يتهم الأمير بخرق معاهدة تافنة. أما فيما تعلق بقضية اغتنام الفرصة فلا يخفى على أحد أن في الحرب كل شيء مباح أم نسي الرحالة أن فرنسا قد احتلت بلدا بأجمله وقتلت الكثير بسبب إشارة الداي على أحد قناصلها بالمروحة هذا إن سلمنا بحجتها الواهية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830.1855). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
2. أبو القاسم سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
3. أحمد منور، الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.
4. أدريان بير بروجير، مع الأمير عبد القادر- رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837 - 1838)، تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2006.
5. أرجمند كوُران. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847). تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط2، 1974.
6. أندرو إدجار وبيتر سيدجويك. موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات. تر: هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجوهرى، المركز القومي للترجمة، ط2، 2014.
7. برونو إتيين. الأمير عبد القادر الجزائري. تر: ميشيل خوري، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1997.
8. حسين محمود فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، العدد 138، 1989.

9. خديجة بقطاش. الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871.

10. الطاهر لبيب. صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2008.

11. عبد الله إبراهيم. المركزية الغربية. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

12. علي محمد محمد الصلابي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). دار المعرفة، بيروت، 2015.

13. قاموس المعاني الإلكتروني: https://www.almaany.com/

14. ليون روش. مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847. تر: يوسف مناصرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

15. محمد عابد الجابري. الإسلام والغرب (الأنا والآخر). الكتاب الأول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009.

16. محمد غنيمي هلال. الأدب المقارن. دار العودة، بيروت، ط3، 1983.

17. نزار أباظة. الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد. دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.

18. هاينريش فون مالتسان. ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا. ج1، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1976.